[فصل: وفيها توفيت

فاطمة بنت الحسين[١]

ابن الحسن بن فَضْلويه الرازي، كانت واعظةً متعبِّدة، لها رِباطٌ تجتمع فيه الزَّاهدات، سمعت الكثير وروت الكثير من الحديث، وكانت صالحةً، توفيت في ربيع الأول، سمعتْ أبا جعفر بن المسلمة، وأبا بكر الخطيب وغيرهما، وذكرها جدي رحمه الله في «مشيخته»، فقال: سمعتُ عليها بقراءة أبي الفَضْل محمد بن ناصر كتاب «ذم الغيبة» لإبراهيم الحربي، ومن مجالس ابن سمعون بروايتها عن ابن النَّقور [عنه][٢]، و«مسند» الشافعي وغير ذلك][٣].

هبة الله بن علي بن إبراهيم[٤]

أبو المعالي الشِّيرازي. كان من أكابر الفُضَلاء، ومن شِعْره [ذكره ابن السمعاني][٥]: [من الوافر]

أَحِنُّ إلى أُناسٍ قد أَنِسْنا ... بقربهُمُ زماناً ثم غابوا
ونعلَمُ أَنَّنا لا بُدَّ يوماً ... نتابعُهُمْ فيَجْمَعُنا التُّرابُ
فيارَبَّ الورى عَطْفاً علينا ... فليسَ إلى سِواكَ لنا مآبُ

السَّنة الثَّانية والعشرون وخمس مئة

فيها وصل عليُّ بن طِراد من عند سنجر ومعه رسولٌ، فطلب الرَّسول أن يَخْطُبَ على منابر بغداد في الجُمَع، فأَذِنَ له في كل جُمُعة في جامعٍ.

---

(١) لها ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧ ـ ٨، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٥ ـ ٢٠٦، وفي «المشيخة»: فاطمة بنت محمد بن الحسين.

(٢) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «مشيخة ابن الجوزي»، و«المنتظم».

(٤) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٢٩٣ ـ وفيه وفاته سنة (٥٢٠هـ) ـ و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٢.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها توجَّه محمود إلى سنجر، واتفقا بعد خشونةٍ كانت بينهما، وسَلَّم إليه دُبَيْساً، وقال: تسأل الخليفة أن يرضى عنه، وتعزل زَنْكي من المَوْصل، وتسلمها إلى دُبَيْس.

وتقدَّم الخليفة إلى نقيب النُّقباء وشيخ الشيوخ ليمضيا إلى سنجر في الرِّسالة، فبذَلَ النقيب ثلاثين ألف دينار، وشيخ الشيوخ خمسة عشر ألفاً ولا يخرجا، فأُخذ المال منهما وأُعفيا[١].

وفيها توفي

الحسنُ بنُ علي بنِ صَدَقَة[٢]

أبو علي، جلال الدِّين، وزير المُسْتَرْشد.

كان عاقلاً، رئيساً، فاضلاً دَيِّناً، ناصحاً لمخدومه، حَسَنَ السِّيرة، محمودَ الطَّريقة، محبوباً إلى الخاصَّة والعامة، جَوَاداً مُمَدَّحاً، توفي ببغداد ليلة الأحد، وحَضَرَ أربابُ الدَّولة، وكان يوماً مشهوداً، وحَزِنَ الخليفةُ عليه، وتطاول للوزارة جماعة، منهم عِزُّ الدولة بن المُطَّلب، وابن الأنباري وأحمد بن النِّظام وغيرهم، فلم يستوزر أحداً منهم، واستناب نقيبَ النُّقباء عليّ بن طِراد الزَّيْنبي.

ومن شِعرْ ابنِ صدقة يمدح المسترشد: [من الطويل]

وَجَدتُ الورى كالماءِ طَعْماً ورِقَّةً ... وأنَّ أميرَ المؤمنين زُلالُهُ

وصَوَّرْتُ معنى العَقْلِ شخصاً مُصَوَّراً ... وأَنَّ أميرَ المؤمنين مِثَالُهُ

فلولا مكانُ الدِّين والشَّرْعِ والتُّقى ... لقلتُ من الإعظامِ جَلَّ جلالُهُ[٣]

قال أحمد بن عَمَّار الكوفي[٤] يمدحه: [من الخفيف]

---

(١) انظر «المنتظم»: ١٠/ ٨ ـ ٩ .

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٩ ـ ١٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٢/ ٩٤ ـ ٩٦، و«الكامل»: ١٠/ ٦٥٢، و«الفخري»: ٣٠٤ ـ ٣٠٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣، و«العبر» ٤/ ٥١، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨، و«عيون التواريخ» في وفيات سنة (٥٢١هـ)، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٣، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٦٦.

(٣) انظر «المنتظم»: ١٠/ ٩-١٠ .

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٥٢٧هـ) من هذا الجزء .

خَلِّهِ تُنْضِ ليلَهُ الأَنْضاءُ ... فعساه يشفي جَوَاهُ الخواءُ
فقدِ استَنْجَدَتْ حَيَاهُ رُبى نَجْـ ... ـدٍ وشامَتْ بُروقَهُ شَمَّاءُ
وَثَنَتْ نحوه الثَّنِيَّةُ قَلْباً ... قُلَّباً تستخِفُّه الأَهْواءُ
عاطفاتٍ إليه أعطافَها شو ... قاً كما تَلْفِتُ الظِّلى الأَظْلاءُ
دِمَنٌ دامَ لي بها اللَّهو حيناً ... وصفا لي فيها الهوى والهواءُ
وأَسَرْتُ السَّرَّاءَ فيها بقلبٍ ... أَسَرَتْه مِنْ بعدها الضَّراءُ
فَسَقَتْ عَهْدَها العِهادُ وَرَوَّتْ ... منه تلكَ النَّواديَ الأَنْداءُ
وَأَرَبَّتْ على الرُّبى من ثَرَاها ... ثَرَّةٌ للرِّياضِ منها ثَرَاءُ
زَمَنٌ كان لي على الهَمِّ هَمٌّ ... بالتَّصابي وبالغواني غَنَاءُ
في رياضٍ راضَت خِلالَ جلال الدِّ ... ينِ أَرْواحُهُنَّ والصَّهْباءُ
شِيَمٌ شامها النَّسيمُ فَرَقَّتْ ... وَجَفَتْ عن سموِّها الأَسْماءُ
شابَ بالعُرْفِ عَرْفَهُنَّ وقِدْماً ... خامَرَ الخمرَ في الزُّجاجةِ ماءُ
مَلِكٌ خاطَبَ الملوكَ برَمْزٍ ... خَطَبَتْ عن خُطَّابِهِ الخُطَباءُ
أَلْمَعِيٌّ لو شامَ لامعَ أمرٍ ... لأَرَتْهُ غيوبَهُ الآراءُ
لك من وَجهِهِ وكَفَّيْه ماءا ... ن فهذا حَيَاً وذاك حَيَاءُ
رَوَّضَ الرَّوْضَ والنَّديَّ نَدَاه ... فاعْتَفَتْه الأَحياءُ والأَحياءُ[1]
بيدٍ أَيَّدَتْ من الدَّهْر ما انآ ... دَ وكانتْ لها اليدُ البيضاءُ
ويراعٍ راعَ الذَّوابلَ بَأْساً ... ورَعى المجدَ حين قَلَّ الرِّعاءُ
كلَّما صَلَّ[2] صالَ منهُ بصِلٍّ ... لا يُرى للرُّقى إليه ارْتِقاءُ
وإذا ماجَ ثُمَّ مَجَّ لُعاباً ... كان منه الشِّفاءُ والإشقاءُ
فعليهِ للسَّائلين صِلاتٌ ... ولديهِ للصَّائلين صِلاءُ[3]
قد أصابوا لديه صَوْباً وصاباً ... فيهما راحةٌ لهم وشقاءُ

(١) النديّ: النادي، اعتفته: طلبت معروفه. الأحياء: النَّاس والحيوان. والأحياء ـ الثانية ـ أحياء العرب.
(٢) في (ع) و(ح): صال، والمثبت من «الخريدة»، وصلّ: صات، والصِلُّ: الحية من أخبث الحيات.
(٣) الصِّلاء: النار، الوقود.

وَرَّثَتْه هَدْيَ الجدودِ جدودٌ ... ورَّثَتْها آباءَها الآباءُ
معشرٌ عاشروا الزَّمان وولَّوا ... وعليهِ رِيٌّ بهم ورُواءُ
يا أخا الجُوْدِ والسَّماح نِداءٌ ... بينَ سَمْعَيْه من نَدَاك نِداءُ
رائقاً لا يُرِيْقُ فينا دمَ الـ ... ـأموالِ حتَّى تحيا به العَلْياءُ
كلما هَزَّه السَّماحُ تثنَّى ... بين أثنائِهِ عليك الثَّناءُ
حاز شَأْوَ الصِّفاتِ فالعِلْم منه ... عَلَمٌ والذَّكاءُ فيه ذُكاءُ
مُسْتَقِلٌّ للمالِ لا يَجْتَدِيْه ... إنَّما هَمُّهُ العُلَى والعَلاءُ
همَّةٌ نالتِ الثُّريا عُلُوًّا ... فاستوى عندها الثَّرى والثَّراءُ
لم يَطُلْها طَوْلُ السَّحاب ولا جا ... زت بمجرى أفلاكها الجَوْزَاءُ
تستميلُ الآمالُ عِطْفَيْه عَطْفاً ... ويهزُّ الأرجاءَ منه الرَّجاءُ
وإذا القَصدُ أَخطأَ ابنَ عليٍّ ... فعلى العُرْف والعُفَاةِ العَفَاءُ

من أبيات[1].

الحسين بن علي بن أبي القاسم[2]

أبو علي اللَّامِشِي السَّمَرْقَنْدِي، الفقيه الحنفي.

كان يُضرب به المَثَل في النَّظر، سَمِعَ الحديث ورواه، وكان صالحاً على طريقة السَّلَف، مُطَّرِحاً للكُلْفة، بُعِثَ رسولاً من خاقان ملك ما وراء النَّهْر إلى بغداد، فاتّفق أوانُ الحَجِّ: فقيل له: قد قطعت مسافةً بعيدة، فلو حَجَجْتَ، فقال: معاذ الله أَنْ أجعلَ الحَجَّ تَبعاً لرسالة هؤلاء. وَرَجَعَ إلى سَمَرْقَنْد، فتوفّي بها في رمضان عن إحدى وثمانين سنة.

---

(١) أورد القصيدة بتمامها العماد الكاتب في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٤/ م١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٣، مع اختلاف في بعض ألفاظها، وأورد بعض أبياتها الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٧/ ٢٥٦.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ١٢/ ٣٧٦، و«التحبير»: ١/ ٢٣٤-٢٣٦، و«المنتظم»: ١٠/ ١٠، و«معجم البلدان»: ٥/ ٨، و«اللباب»: ٣/ ٤٠٢، و«الجواهر المضية»: ٢/ ١٢٠-١٢١، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٣، و«الفوائد البهية»: ٦٧.

طُغْتِكِين بن عبد الله[١]

أبو منصور ظهير الدين أتابك صاحب الشام، مملوك تاج الدَّوْلة تُتُش.

كان مقدَّماً عنده، زَوَّجه أُمَّ ابنه دُقاق، ونَصَّ عليه في أتابكية دُقاق، وقد ذكرنا وقائعه، وكان شجاعاً، شَهْماً، عادلاً، ولما احتُضِرَ أوصى إلى ولده تاج الملوك بوري بحُسْنِ الطَّريقة، والتزام العَدْل، وإقامة منار الإسلام، والجهاد والإحسان إلى الرَّعية، ومراجعة العلماء وأرباب الخبرة فيما يتجدَّد.

وتوفي يوم السبت ثامن صفر، ودُفِنَ في تربته التي بناها قِبْلي دمشق عند المسجد الجديد، وهي قائمة إلى هلمَّ جرا، وحَزِنَ أهلُ دمشق عليه، وعُمِلَ المأتم له في كل مَحَلَّة وسوق، لأنه كان حَسَنَ السيرة، ظاهر العَدْل، كثيرَ الإحسان، مُدَبِّراً للممالك، فَحَسُنَتْ آثاره، وعُمِرَتْ البلاد في أيامه، وأقام حاكماً على الشَّام خمساً وثلاثين سنة.

وجَلَسَ بُوري مكانه، فسار سيرته مُدَّة، وأَقَرَّ الولاة على حالهم، ثم تغيَّرَتْ نِيَّتُه وأظهر[٢] السُّوء لأصحابِ أبيه، والظُّلْم للرَّعية، وقَبَضَ على خواصِّ أبيه واحداً بعد واحد، فاستراحوا به، ونَفَرَتِ القلوبُ منه، وتمكَّن وزيره المَزْدَقاني من أهل دمشق، وصادَقَ الباطنية، واستعان بهم.

وقال ابنُ القلانسي: مَرِض طُغتِكين مَرَضاً أنهك قُوَّته، وأَنْحَلَ جسمه، [وأضعف مُنَّته][٣]، فأحضر ولده بُوري، وأمراءَ دولته وخواصَّه، ونَصَّ على بوري، ووَصَّاه، وذكر بمعنى ما تقدم.

قال: فَعَدَل ولده في الرعية [وعمَّ إحسانُه جميعَ البرية][٣]، وكان بظاهر دمشق أماكن داثرة، [ومواضع غامرة][٤] فلما قَصَدَ طُغْتِكِين بغداد، كتب إلى المسترشد يستأذنه في بيعها ليصرف ثمنها في الأجناد [والمريدين الجهاد][٣]، فأَذِنَ له في ذلك، ووقَّع بخطِّه إذْناً مُؤَبَّداً، فَعَمَرتْ ضياع كانت خالية، وعلى عروشها خاوية، وظهرت

(١) سلفت أخباره مفرقة على السنين، وله ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥١٩ ـ ٥٢١، وفيه مصادر ترجمته.

(٢) في (م) و(ش): وأضمر.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) الغامر من الأرض والدور: الخراب، «معجم متن اللغة»: ٤/ ٣٢٣.

منها الخيرات، وعَمَّتِ البركات.

وأَسَرَّ بوري في نفسه من أمر الباطنية ما لم يُبْدِه لأحد عندما قويت شوكَتُهُمْ، فلما مكَّنه الله منهم أوقعَ بهم، وكان بَهْرَام داعيهم في بانياس، قد بَثَّ دُعاته في سائر الجهات، واستغوى خَلْقاً كثيراً، وشَرَعَ في قَتْلِ الأعيان والزُّهَّاد، والوزير يساعِدُه على أغراضه لتكون أيديهما واحدة، وبُوري غير راضٍ بذلك، بل تبعثه السِّياسة على الصَّبْر، وكان بنو جندل في وادي التَّيْم هم الأعيان، فاحتال على برق بن جَنْدَل حتى صار في يده، وكان شابًّا شجاعاً، حَسَنَ الصُّورة، فقتله صَبْراً، وكان له أَخٌ يقال له ضَحَّاك، فاتَّفق مع أهله، وتعاهدوا على قتال بَهْرام، فحشد وخَرَجَ من بانياس قاصداً إليهم، وكانوا مستعدِّين للقائه، فنزل قريباً منهم في خيمةٍ، واستعدَّ للزَّحْف إليهم، فجاؤوا بقَضِّهم وقَضِيْضهم، وهَجَموا عليه الخيمة، وقطَّعوه إرْباً إرْباً، وقتلوا أصحابه، ولم يُفْلت منهم إلا الشَّريد، وقام بعده رفيقُه إسماعيل العَجَمي، وجرى المَزْدَقاني معه على عادته مع بَهْرام لكن قَلُّوا وضَعُفوا، فحينئذٍ أخذ بُوري في استئصالهم، وأوقع بالوزير، وسنذكره إن شاء الله تعالى في السَّنة الآتية[1].

شَرَفُ النِّساءِ شرف خاتون

زوجة طُغْتِكِين والدةُ بُوري.

كانت صالحة، كثيرة الخيرات، [قال أبو يعلى بن القلانسي: إنها توفيت في هذه السنة][2]، ودُفنت في قُبَّتها التي بنتها خارجَ بابِ الفراديس.

عبد الله بن طاهر بن محمد بن كاكُوا[3]

أبو محمد الواعظ، [ويعرف بابن زينة][4].

---

(١) انظر«ذيل تاريخ دمشق»: ٣٤٧ ـ ٣٥٦، وص ٢١٧ ، ٢١٩ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) (ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٥٦.

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) و(س): ٩/ ٤٥٥، و«مختصره» لابن منظور: ١٢/ ٢٨٣، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٤، ووفاته عند ابن عساكر سنة (٥٢٠هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ولد بصُور، ونَشَأ بالشَّام، [وذَكَرَ أَنَّه سمع القاضي القُضَاعي، وتفقَّه على أبي إسحاق الشِّيرازي، وسمع منه][1] قال: أنشدني أبو إسحاق الشِّيرازي لنفسه: [من البسيط]

لـمَّـا أَتـانـي كـتـابٌ مـنـك مُـبْـتَـسِـمـاً ... عـن كـلِّ مـعـنًى ولـفـظٍ غـيـرِ مـحـدودِ
حَـكَـتْ مـعـانـيـه فـي أثـنـاء أَسْـطُـره ... أفـعـالَـكَ الـبِـيْـضَ فـي أحـوالـيَ الـسُّـودِ

[وقد ذكرناه في ترجمة أبي إسحاق][1].

كافور بن عبد الله[2]

أبو المِسْك الحَبَشي الخَصِيّ، ويعرف بالصُّوري.

[وأصله من مصر، وسكن صور، فنسب إليها][1].

طاف الدُّنيا، وسمع الحديث، وعاد إلى بغداد فمات بها، قَدِم بَيْهَق، فكتب إلى رئيسها محمد بن منصور البَيهقي: [من البسيط]

هـل مِـنْ قِـرًى يـا أبـا سَـعـد تَـجـودُ بِـهِ ... لـخـادمٍ قـادمٍ وافـاكَ مـن صُـوْرِ
شِـعـارُهُ إنْ دَنَـتْ دارٌ وإنْ بَـعُـدَتْ ... الـلـهُ يُـبْـقـي أبـا سَـعـدِ بـن مَـنْـصـورِ[3]

السَّنة الثَّالثة والعشرون وخمس مئة

فيها في المحرَّم عاد السُّلْطان محمود إلى بغداد، [وأقام دُبَيْس في بعض الطريق، فاجتهد في أن يمكن دُبَيس من دخول بغداد][4] وأن يرضى عنه فلم يمكن، وبعث السُّلْطان إلى زَنْكي بأن يسلم المَوْصِل إلى دُبَيْس، فلم يفعل.

وفيها وكل السُّلْطان محمود بقاضي القضاة الزَّيْنَبي، وسببُه أَنَّه نُقِلَ إليه أن مغلَّ أوقاف مدرسة أبي حنيفة يغل في كلِّ سنة ثمانين ألف دينار، وما ينفق عشرة آلاف دينار، فطلب السُّلْطانُ منه الحساب.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٤/ ٤٩٤، و«خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢٤/ ٣١١ ـ ٣١٢، وعندهم وفاته سنة (٥٢١هـ).

(٣) البيتان في «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة».

(٤) ما بين حاصرتين من (ح).